شخصيات من القرآن الكريم

تناول القرآن الكريم مجموعة من الشخصيات التي جاء ذكرها في آيات محددة .. وكان على الباحث الذي يريد تقديم مثل هذه الشخصيات في إطار درامي بعيدًا عن القصة المكتوبة .. عليه أن يبحث في الأحاديث النبوية المشرفة التي أشارت إلى بعض هذه الشخصيات أو في كتب التراث وأشهرها وأهمها الطبري والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها .

وقد اجتهدت الدكتورة فاطمة سيد أحمد في كتابها «رجلان » أن تجمع بعض هذه الشخصيات وترسمها بقلمها الصحفي الأدبي واختارت أن تجمع المتشابهة أو المتناقضة معا كأسلوب لكتابها .

وما يهمنا هنا عرض هذه النماذج على أساس أن الشخصية هي إحدى أركان العمل الدرامي مع الحدث وخط سيره وهو ما يشار إليه بالقصة والسيناريو والحوار وهذه بعض النماذج :

ذو القرنين

أطلق عليه «ذو القرنين» لأنه كان في مقدمة رأسه ذؤابتان من اللحم ، وكان ملكًا طيبًا عادلاً وصالحًا هداه الله وأنار بصيرته بالإيمان وفتح قلبه على نور المعرفة ، فرأى فيما حوله من مظاهر الطبيعة صورًا عديدة لآيات الله وقدرته وبديع صنعه ؟؟

رأى الشمس وهي تشرق من مشرقها كل صباح فتبث في الكون الحياة وتنير الأرض وحتى الزرع ، وتمنح الحياة خيرًا وبركة للناس ، ثم تلملم أشعتها في الليل، لتترك القمر أو النجوم لحراسة هذا الكون وكثيرًا ما كان «ذو القرنين» يتابع الشمس ليعرف من أين تأتي وكيف تختفي .

ومن أجل هذا كانت رحلاته في طول البلاد وعرضها ، جاب ربوعها ومسالكها ودروبها في سنوات طويلة ، لا يعلم مقدارها إلا الله .

وبعد أن استقر الأمر «لذو القرنين» في مملكته في آسيا الصغرى وعلى وجه التحديد «تركيا» ووطد دعائم حكمه على العدل وضم ما حوله إلى دولته كان في لهفة لمعرفة المكان الذي تختفي فيه الشمس أين يكون مغربها ؟لذلك جهز عددًا كبيرًا من رجاله وزودهم بالمؤن والعتاد ، ومضى بهم نحو الغرب ، يتابع كل يوم مغيب الشمس، كانوا غير عابئين بما يصادفهم من مشاق وصعاب يصعدون الجبال ويهبطون الأودية ويعبرون الأنهار ، ومروا في طريقهم على أقوام كثيرة يتكلمون لغات مختلفة وتلهج ألسنتهم بلهجات متعددة ، لكن الله منح «ذو القرنين» القدرة على التفاهم معهم ، واستطاع بحكمته أن يهدي كثيرًا منهم إلى نور الإيمان والوحدانية وشرح صدورهم بالخير والعدل .

عدة سنوات قضاها «ذو القرنين» في رحلته نحو الغرب ، حتى وصل مع رجاله إلى أقصى الجزء المعمور من الأرض في ذلك الوقت وهو سواحل المحيط الأطلسي الذي كان يعرف ببحر الظلمات وهناك رأى الشمس وهي تغرب ، ووجد «ذو القرنين» أقوامًا أولى قوة وشدة ، وتقوم بينه وبين جيرانهم من البربر الخصومة والقتال ، واختلفت لهجاتهم ، وتعددت لغاتهم وهم يعبدون الأصنام والحكام ومظاهر الطبيعة وكانوا يرون في بعض الحيوانات صورًا لآلهتهم ، وهي نفس الظروف التي كان يعيشها سكان العالم في ذلك الوقت فلم تكن ديانة التوحيد قد انتشرت بعد .

لقمان الحكيم

كان «لقمان » سوداني الأصل ، ولكنه نزح على الحدود واستقر في «النوبة بمصر» ، وكان عبدًا أسود البشرة بدينا قصير القامة أفطس الأنف غليظ الشفتين ، ومع هذا عرف بحب الناس له مما عرفوه عنه من حكمة وعقل وحسن كلماته ، وكان كبار وعظماء قومه يلجأون إليه ليستشيروه في أمور حياتهم ودينهم ، فيصدقهم الحديث ويرشدهم بحكمته وحسن نصائحه إلى الطريق المستقيم .

لم يكن «لقمان» ذا مال ولا جاه ولا حسب ، ولكنه كان عبدًا فقيرًا يتمتع ببعد النظر وعمق التفكير وقد منحه الله الحكمة والحجة .. فيقول الله تعالى في سورة لقمان : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ (صدق الله العظيم) .

وقد جلس «لقمان» ذات مرة مع صفوة من كبار الرجال يوحي لكل من يراه بمقدار ما يكنه له جلساؤه من تقدير واحترام وقد أنصتوا جميعًا إليه باهتمام بالغ يفوق اهتماهم بعظيم ، وهو ينشر عليهم مواعظه وحكمه ، فبينما هو كذلك أقبل إلى لقمان رجل من العامة واقترب منه ، وتأمله وقال له بصوت سمعه الجميع : يا هذا ألست أنت من بني النخاس الذي كنت معي ذات يوم ترعى غنما لسيدك في مكان كذا ؟

ابتسم «لقمان » في وجه الرجل وقربه من مجلسه وقال له في ثقة : بلي يا صديقي أنا كما تقول أنت أنا الذي كنت أرعى لسيدك حيث كنت .

تعجب الرجل مما سمع وما يرى ، فقال للقمان يستوضح الحقيقة ، فما بلغ بك هذه المكانة التي تحظى بها بين جلسائك ؟ هذه المكانة التي لا تكون إلا لعظيم وأنى أرى الناس قد اجتمعوا حولك وأنصتوا إليك تنطق وجوههم بالطاعة لك .. فكيف نلت هذه المكانة ؟

ابتسم لقمان وقال للرجل : يا صاحبي الذي أبلغني هذا .. مشيئة الله وصدق الحديث وصمتي عما لا يعنيني وأدائي للأمانة وغض الطرف .

قال الرجل : صدقت بمثل هذا تكون الحكمة .

طالوت

كان «طالوت» رجلاً مهيب الطلعة طويل القامة شجاعًا منحه الله صحة في الجسم والعقل والحكمة .

إلا أن بني إسرائيل سألوا نبيهم «شموئيل» ، وما هي الحكمة التي اختارت على أساسها «طالوت» ؟ فقال لهم كما جاء في سورة البقرة : ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴾ .

ومضت أيام قليلة ، وإذا بتابوت العهد يصل إليهم دون أن يبذلوا أي مجهود أو حروب فكان هذا دليل لهم على صدق نبوءة «شموئيل» ، وحسن اختياره «لطالوت» ، والحقيقة أن الفلسطينيين حين استولوا على تابوت العهد فإذا بالمصائب تحيق بهم من كل جانب فسلط الله عليهم الفئران وأصابتهم الأمراض ، وسقطت تماثيل آلهتهم ، فاعتقدوا أن هذا بسبب التابوت وبعد مضي أشهر قليلة من الاستيلاء على هذا التابوت أرادوا التخلص منه ، فوضعوه على عربة بعجلات يجرها ثوران ، وتركوه في إحدى قرى إسرائيل .

في الوقت نفسه بدأ «طالوت» يتخذ موقعه ومسئوليته كملك وقائد ، لذلك جهز جيشًا كبيرًا من ثمانين ألف مقاتل ، لمحاربة الفلسطينيين واتجه بهم في طريق طويل شاق والحرارة تحرق وجوههم حتى وصلوا إلى بعض شجيرات الزيتون فقطعوها وحملوا فروعها يستخدمونها كمظلات تحميهم من الشمس، واشتد بهم العطش حتى جف ريقهم ، وكان على طالوت أن يختبر قوة صبر جيشه واحتمالهم فقال لهم طالوت ، سنمشي في طريقنا ، ونفارق ديارنا متجهين نحو الغرب حتى نصل إلى نهر الشريعة بالأردن ، وأنا أعلم أن العطش اشتد بكم لشدة الحر وطول الطريق ، ولكنه امتحان لكم ، فمن يصبر فيكم يستطيع القتال ، ليس لكم الحق في أن تشربوا من مياه النهر إلا بقدر ما يملأ كف اليد ، فمن زاد على هذا ، فهو ليس أهلاً للقتال والحرب .

فما كاد الرجال يصلون على النهر ، حتى نسى كثير منهم تعاليم «طالوت» لهم واخذوا يشربون بشراهة ، بل إن بعضهم دفعهم الطمع إلى أن يملأ أوعية كانت معهم ، ولم يلتزم بوصية طالوت إلا قليل لا يزيد عددهم على أربعة آلاف مقاتل هم

الـذين سـيقابلون العـدو ، وانصـرف الآخـرون مـن حيـث آتـوا .. وكـان جـيش الفلسطينيين كبيرًا مجهزًا بالأسلحة والمعدات يتقدمهم قائدهم «جـالوت» الـذي عرف بقسوته وقوته ، وملامحه الصارمة ، وقـد أشـهر سـيفه يحـيط بـه كثيـر مـن الفرسان على خيولهم .

داود بن يسى

كان «يسى ابن عويد» ، له ثلاثة من الأبناء في جيش «طالوت» فاصـطحب ابنـه الأصغر معه تاركًا غنمة التي كان يرعاها ليرى ماذا حدث لأبنائه بعد أن علـم مـن أمر «جالوت» معهم ؟

كان الابن الأصغر هو «داود» قصير القامة نحيل الجسم ، وكان على غير درايـة بفنون الحرب ، ولكنه كان يجيد الرمى بآلة على هيئة «مقلاع» كان يصنعها بنفسه ، وكان منفردًا بهذه الصناعة التي أصبحت مصدر رزقـه يقتـات منـه ، وذلـك أن الله آلان له الحديد وجعله في يده لينا يشكله كيف يشـاء دون حاجـة إلى نـار أو طـرق وذلك كما جاء في سورة سبأ : ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ صدق الله العظيم .

ولذلك برع في عمل الدروع المسرودة المصنوعة مـن حلقـات الحديـد وهـذا عمل دقيق بالغ القوة وكانت الدروع من قبل تصنع من صفائح الحديـد ، ولكنهـا عندما تكون من الحلقات الحديدية تكون أخف ويكـون الجسـم داخلهـا أسـهل حركة ، كما أنها تقي لابسها مـن الأسـلحة كمـا جـاء في سـورة الأنبيـاء : ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ وكان داود في ذهابـه إلى إخوتـه المحـاربين لا يعلم أنه سيحارب ولم يكن يحمل سـوى عصـاه ومقـلاع الحجـارة ولكـن دفعـه الحماس لاختراق صفوف الجيش حتى وصل إلى القمة في مواجهة جالوت وبكل ثقة تقدم وقال : أنا أبارزك يا جالوت . لكنه انتصر عليه بمقلاع .

أيوب

هو «أيوب بن العيص ، أحد أنبياء الله الكرام هو من ذرية سيدنا إبراهيم وقد ذكره الله في سورة النساء ، قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَ ﴾ صدق الله العظيم وكان أيوب متزوجًا من رحمة بنت أفرايم ، وكانت زوجة وفية لزوجها محبة له .

كان أيوب ثريًا ثراءً فاحشًا ، وكان يعيش في الشام ، وقد أنعم الله عليه بكل النعم ، وفي مقدمتها الأراضي الخصبة الشاسعة ، وكانت له من الخيل الأصيل ما يدهش الأبصار ، وكانت له حوالي الألف من الإبل والبقر والغنم وسائر الماشية ، وكان أيوب برًا تقيًا رحيمًا ، يحسن إلى المساكين ، ويكفل الأيتام والأرامل يكرم الضيف وكان شاكرًا ينعم الله ، وكان لأيوب أيضًا سبعة من الأولاد تقر بهم عينه .

وكانت «رحمة» تعلم أن سر بقاء النعمة هو الشكر لله وحمده ، فكانت دائمة الذكر بنعم الله عليها هي وأسرتها ، وكانت تعطي كل ذي حق حقه فتواسي عباد الله وتبرهم وتحسن إليهم ، وتستنير بذلك في ضوء إرشاد زوجها نبي الله أيوب عليه السلام لها .

***

وقد وهب الله «أيوب» الوفرة في الرزق وكثرة الأبناء والبسط في الصحة ، وبذلك تمت له نعم الله عليه في الحياة الدنيا وزينتها وهي المال والبنون والصحة .. ومع هذا الفضل العظيم شاء الله أن يجعل منه نموذجًا للبشرية في الصبر والتحمل فقد ابتلاه الله ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عز وجل بهما .

وطل مرضه وانقطع عنه الناس ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته كانت

ترعى له حقه وتقدر له محبته وشفقته عليها قبل أن يمرض فكانت تصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته وامتحن الله أيوب في الأموال والأولاد أيضًا فبعد بلاء المرض الذي جعله هيكلا لا قدرة له على المشي أو الحركة ، ومع ذلك لم ينقطع لسانه عن ذكر الله والرضا بما شاء له الله ، وظل على هذه الحال سبع سنوات مريضًا على فراشه بعد ذلك بقليل فقد أولاده السبعة إذا سقط عليه سقف الدار فماتوا جميعًا .

وحاق الجدب بأرضه الخصبة ، وقضى على مواشيه وخيله ، وفقد كل شيء أما بالنسبة لـ «رحمة» فقد ضعف حالها وقل مالها ، حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه وتقوم برعايته ، وهي صابرة على ما حل بهما من فراق المال والولد . وما يخص بها من المصيبة بالزوج ، وضيق ذات اليد أو خدمة الناس بعد السعادة والنعمة .

وكانت «رحمة» تقتبس من زوجها صفاء النفس وحسن عبادته ، ومعاملته لربه سبحانه فقد كان «أيوب» أكثر أيمانًا من أهل زمانه وكان لا يشبع حتى يأكل الجائع وكان أيوب عليه السلام يدعو إلى التوحيد وإصلاح ذات البين وإذا طلب حاجة إلى الله عز وجل سجد ثم طلب ما يريد .

وكانت رحمة ترى الصفات الحميدة في أيوب فتقتدي به وتهتدي به ، وقد قالت لزوجها وهي تشفق عليه ، وما وصل إليه من حالة سيئة يا أيوب إنك رجل مجاب الدعوة فادع الله أن يشفيك فقال لها : كنا في النعمة فلنصبر على البلاء فبالرغم من كل ما حدث له إلا أنه كان صابرًا فقد وصفه الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ أي تواب ومطيع لله ..

وقد استمر «أيوب» مريضًا لمدة سبع سنوات لا يقربه أحد ، إلا رجلان من إخوانه ، فكانا يقومان بزيارته فقال أحدهما للآخر ، لقد أذنب أيوب ذنبًا عظيمًا ، وإلا لكشف عنه هذا البلاء ، فذهب الآخر وحكى لأيوب ما قاله الآخر عنه ،

فحزن أيوب مما سمعه ، ودعا الله حينئذ بأن يعفو عنه وكما جاء في سورة ص :
﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ صدق الله العظيم .

قارون بن يصهر

كان «قارون» صبيًا يعيش في أرض «جاسان » بمصر (محافظة الشرقية الآن) يشعر بآلام قومه وعذابهم ، وما يلاقونه من هوان وسخره وكانت أسرته فقيرة ، وفي إحدى الليالي أجهده «قارون» فكره ، وهو يقارن بينه وبين ابن عمه «موسى» الذي فضله الله ، فمهد له طرق السعادة في قصر فرعون ، وعطف ورعاية الملكة لم يرهقه عمل ولا يؤرقه الخوف ، صورتان مختلفتان من الحياة من أجل هذا ، كان الحقد يملأ قلبه على «موسى» ودائمًا ما يلعن حظه ..

وخلال عدة سنوات كبر «قارون» وكبر معه حقده على موسى ولكن كله آمال لمستقبل يعوضه عن ماضيه الفقير ، هجر «قارون »مرعى أبيه ، وترك داره في «جاسان» واتجه إلى المدينة حيث عاصمة «فرعون» وعمل بالتجارة وشاء الله له أن يزيد له في رزقه ، فاتسعت تجارته ، كأن الله شاء أن يختبره ويمتحنه وذات يوم ، حينما علم أن «موسى» قتل أحد المصريين ، وأن فرعون يطلبه ليقتله ، سعد بذلك «قارون» وانضم إلى رجال فرعون للبحث عن موسى ولكن «موسى» هرب فسعد قارون بالخلاص من عدوه .. ودارت الأيام وقارون يزداد مالا وجاها ، وتقربًا إلى الفرعون الجديد الذي جعله حاكمًا على بني إسرائيل في «جاسان» يدير شئونهم وفق ما يريد فرعون يهابه الجميع ويخشونه .

وكان يمكنه أن يحسن إلى قومه ، ويصلح أحوالهم بدلا من تسخيرهم ، لكنه لم يفعل ونسى أهله وفقره وكل شيء ، وأصبح كل همه أن يتسلط على قومه ، ويسخرهم في رعي أغنامه ، وقوافل تجارته ، وأهداف فرعون وكما جاء في سورة

القصص ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، وكان فرعون يكافئ قارون على موقفه منه، فوهبه أرضا زراعية واسعة شرق الدلتا، لم تستطع عينا قارون أن تبصر مداها، فضاعف من إيذاء قومه وسخرهم في أرضه، يشقون فيها الترع والقنوات، ويزرعون ويحصدون له، ويبنون له القصور، وكأنما أراد أن يكون فرعونًا ثانيًا ليرضى غروره وعقدة فقره.

وارتفعت مكانة قارون، وازدادت أرباحه مما كان يغتصبه من أموال وعقارات، يأخذها بالقوة من أصحابها ويضمها إلى أملاكه حتى أصبحت خزائنه كبيرة يصعب حملها على أشد الرجال، كما يقول الله تعالى في سورة القصص ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾. صدق الله العظيم.

أبرهة الأشرم

جلس «أبرهة» ملك اليمن ذات يوم في قصره بصنعاء وكان ذلك حوالي عام 570 ميلادية، يحيط به وزراؤه يتدارسون شئون الحكم وكان «أبرهة» سعيدًا بما حققه من نصر على أعدائه فقد أصبح له حكم اليمن وخضعت لسلطاته حضارة سبأ وحمير.

وقد عرف «أبرهة» بالأشرم لأنه كان له خصم يدعى «آرياط» ضربه بسيفه على وجهه، فسقه ما بين عينيه وحاجبيه وجبهته وأنفه وشفتيه، وكاد «آرياط» يقتله لولا عبده «عتودة» الذي تلقى الضربة عنه..

استند «أبرهة» بظهره إلى كرسي عرشه في حركة عز وعظمة، وقد ظهرت أسنانه من بين شفتيه الغليظتين المشقوقتين، وقال: لقد انتهينا من بناء «القليس» لتكون كعبة جديدة يأتيها العرب من كل مكان ولينصرفوا عن الكعبة بيت آلهة قريش، فكفى قريش ما نالوه من شرف لقرون طويلة، ولتكون «القليس» حديث الناس بعظمتها يتحدث عنها قبائل العرب، ومجالس كسرى في فارس، وقيصر وروما..

و«القليس» هي مكان بناه «أبرهة» لتكون كعبة بديلة عن كعبة قريش ، واستعبد في بنائها كثيرًا من اليمنيين ، بناها من الحجارة الرخام ، وجعل لها منابر من الأبنوس، ونقل إليها كثيرًا من التحف من قصر الملكة «بلقيس» واستمرت هذه الكعبة التي كانت على شكل كنيسة حتى هدمها أبو العباس أول الخلفاء العباسيين .

حاول أحد الحاضرين أن يصرف «أبرهة» الحبشي المولد ، عما يريد فقال : مولاي : إن قريشًا تؤمن أن جديهما إبراهيم وإسماعيل بنيا هذه الكعبة بأمر من ربهما فدع قريش وكعبتها .

هاج «أبرهة» وماج ، وطرد الرجل من مجلسه ، وقال في إصرار ، أيترك العرب «القليس»هذا الصرح الشامخ ليحجوا إلى كعبة قريش القديمة المتهالكة .

وقبل أن ينتهي «أبرهة» من كلماته ، فوجئ الحاضرون بأحد الجنود يدخل متجهمًا ثم اتجه إلى سيده ، وقال إليه بضع كلمات ما كاد أبرهة يسمعها حتى علا الغضب وجهه وصاح ثائرًا ، لن أهدأ حتى أنول من كعبة القرشيين وأهدمها .

كانت صرخة عالية هائلة دوى صداها في أرجاء القصر ، تعلن عن حقد «أبرهة» على الكعبة ، ولم يستطيع الرجال أن يعرفوا ماذا حدث ؟بينما خلع «أبرهة» ، تاجه من فوق رأسه وعاد يصرخ ، لن يعود هذا التاج إلى رأسي إلا إذا انتقمت من هؤلاء العرب وكعبتهم .

وعرف الرجال أن الجندي أنبأ سيدهم بأن رجلاً من بني مالك بن كنانة قد دنس «القليس» بالقاذورات حيث تبول فيها إعلانًا عن غضبه مما يريد أبرهة .

حاول بعض الرجال أن يثنوا «أبرهة» عما اعتزمه قالوا له : سيدي أن بيت آلهة قريش أمره عظيم باركه الله ، وجعل الناس تهواه وتهيم فيه ، ومنعه من كل من أراد به شرًا في حين كان هناك بعض الكارهين لـ «أبرهة» ، فوجدوا الفرصة مواتية ، لعلهم يتخلصون منه ! فتكون نهايته عند كعبة القرشيين فشجعوه على ما يريد

ومنوه بتحقيق آماله وقالوا ، يا مولاي ، هذا البيت العتيق الكعبة زاخر بالكنوز من الذهب والتحف والهدايا التي يهديها الناس لآلهتهم فقاطعه أبرهة : فلتكن هذه الهدايا حقًا لنا ، غنيمة تغتنمها من قريش بعد أن نهدم كعبتهم .

كون «أبرهة » جيشًا كبيرًا ، حشد فيه عددًا ضخمًا من الجنود والخيول والإبل، وتقدمه وهو يركب فيلاً ضخمًا ، يصحبه رجال ليدلوه على الطريق ، منهم «ذو نفر» الذي كان من أشراف أهل اليمن فاستنفر قومه لمقاتلة أبرهة وصده عما يريد من هدم بيت الله ، لكنه لم يستطع أن يتصدى لأبرهة فأخذه أسيرًا ، وهزم كذلك نفيل بن حبيب الخثعمي حين جمع قومه من قبيلتي شهران وناهس وأخذه كذلك أسيرًا ، فأقام نفسه دليلاً لأبرهة وجيشه ، فلما نزل أبرهة الطائف كلمه أهلها بأن بيتهم ليس هو البيت الذي يريده إنما هو بيت «اللات» وبعثوا معه من يدلهم على مكة .

وما كاد أبرهة يقترب من مكة حتى أحس برهبة شديدة تهز جسده ، حاول أن يتماسك ويطمئن نفسه لكن لا محال ، فهو في حيرة... صحيح أنه هزم كثيرًا من القبائل ، لكنه لا يدري أي شيء يشعره بالخوف وبينما هو مستغرق في التفكير ، أقبل عليه رفيقه «حناطة الحميري» فما كاد أبرهة يراه ، حتى قال له : أرأيت يا حناطة ، لقد اقتربنا من مكة ، وعما قليل سندخلها لنهدم الكعبة .. تردد حناطة قبل أن يقول: ألا ترى يا سيدي أن من الخير لنا أن نفاوض قريشًا أهل مكة .. فقاطعه «أبرهة» على أن يتركوا لي هدم كعبتهم ولا يعترضوا طريقي .. فلما اقترب «أبرهة» من مكة بعث رجلا من الجيش بجنوده ، فغنم إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم وبينها مائة بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهمت قريش ومن معهم من أهل مكة بقتاله ، ثم رأوا أن لا طاقة لهم به ، وبعث أبرهة بـ «حناطة الحميري» يسأل عن سيد مكة فذهبا به إلى عبد المطلب بن هاشم ، وأبلغه رسالة «أبرهة » إليه أنه لم يأت لحرب وإنما جاء لهدم البيت ، فإن لم تحاربه مكة فلا حاجة به لدماء

أهلها ، فلما ذكر له عبد المطلب إنهم لا يريدون حربًا ، سار به «حناطة» ومع عبد المطلب بعض أبنائه ، وبعض كبراء مكة حتى بلغوا معسكر جيش «أبرهة »فأكرم «أبرهة» وفادة عبد المطلب أجابه إلى رد إبله إليه لكنه أبي أي حديث في أمر الكعبة ورجوعه عن هدمها ، ورفض ما عرضه عليه وفد مكة من النزول له عن ثلث ثروة تهامة .

عاد عبد المطلب وقومه إلى مكة ونصحوا الناس أن يخرجوا إلى الجبل خيفة «أبرهة» وجيشه حين يدخلون البلد الحرام لهدم البيت العتيق .. خاصة بعد ما أساء أحد أهل مكة بـ «القليس» كعبة أبرهة» المزعومة .

صاحب الجنة

على مقربة من صنعاء ، كانت تقع قرية اسمها «صرواح»واحدة من تلك القرى المتناثرة على سفوح جبال اليمن السعيد .

في تلك القرية كان يعيش رجل طيب امتلأ قلبه بالإيمان بالله وحبه لكل من حوله من الناس ، كان سعيد بفضل الله عليه شاكرًا له نعمته التي انعم بها عليه ، فقد كان للرجل الطيب بستان كبير اتسع ما بين أطرافه ، وازدحمت فيه أشجار الفاكهة التي تعددت أنواعها ، وتنوعت ثمارها واختلف مذاقها ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، تتخللها أشتات من الورود والرياحين تحمل النسمات عطرها ، فيفوح شذاها في كل أنحاء القرية وما حولها واتسعت حول البستان مساحات زرعت بالمحاصيل المختلفة وبرزت سنابلها يلمع نورها في الشمس وفي ضوء القمر تنساب في جبناتها جداول الماء الصافية ، فبدت كبساط سندس منسوج بخيوط من الفضة ، صورة بديعة حاكتها قدرة الله كجنة وكان لهذا الرجل سبعة أبناء فزادت بهم سعادته ، فقد كانوا عونًا له وزينة في حياته ، فضاعف شكره لله .

اعتاد الرجل الطيب كل عام حين يكون موعد حصاد جنته أن يخبر الفقراء والمساكين في قريته والقرى المجاورة ليشاركوه فرحته في جنى المحصول ،

وقطف الثمار وليأخذوا حقهم الذي وهبهم الله ، لهم نصيبًا من الخير ليعودوا إلى أهليهم وديارهم وألسنتهم تردد كلمات الشكر والدعاء لهذا الرجل الطيب ، سائلين الله له مزيدًا من الخير والبركة والسعادة .

وإذا كان الفقراء والمساكين سعداء في يوم الحصاد ، فقد كان أبناء الرجل الطيب غير راضين عما يفعله أبوهم ، حاقدين على الفقراء ما ينالونه من حق ، تلتهم عيونهم الفقراء بنظرات الحقد محاولين أكثر من مرة أن يصرفوا أباهم عن هذا الكرم والعطاء ، لكن الرجل كان مؤمنًا أن الخير من عند الله يهبه له ليعطي للمحرومين نصيبهم زكاة عن صحته ونعمه .

وذات يوم وقبل أن يحين حصاد الجنة جلس الرجل الطيب وأبناؤه على أرائك أقاموها تحت خميلة في ركن من البستان كان الرجل سعيدًا باقتراب موعد الحصاد، لكن الأبناء اتخذوا من ذلك فرصة ليمنعوه من العطايا التي اعتادها الفقراء ، وتتابعت كلماتهم التي تدل على كراهيتهم ، ورغبتهم في منع الخير.

قالوا : يا أبانا هذه جنتنا نحن أصحابها فلم لا يكون خيرها لنا وحدنا دون سوانا ؟

ولماذا نعطي الفقراء نصيبًا وهم ليسوا منا ونحن لسنا منهم ؟ إنهم لم يبذلوا جهدًا ولا تعبًا ، ونحن وأبناؤنا أحق بما يأخذه هؤلاء الفقراء ، يا أبانا دعهم وشأنهم ، فما لنا حاجة بهم ، ونحن لسنا أوصياء عليهم ،وليتخذوا لهم مورد رزق بعيد عن جنتنا ، فلم يعد لنا طاقة على لقائهم ، وكما جاء في «آل عمران» .

وبعد أيام مات الرجل وحاول الابن الأوسط أن ينبه أخوته إلى البخل وحجب النعمة عن الفقراء لكنهم أصروا حتى نزلت النقمة على الجنة وأصبحت كالصريم وندموا ثم تابوا .

***

أصحاب السبت

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف:156، 166] . لكن ماذا نقول عن اليهود وخيانتهم للعهود حتى مع الله سبحانه فيما بالك مع البشر .

كانوا يعملون طوال الأسبوع وأجازتهم السبت .. وفي هذا اليوم دون غيره كانت الأسماك تظهر بقوة وكأنها تغيظهم .. وهو اليوم الممنوع فيه العمل والصيد .. وكان كبير مدينة أيلة عويدا وزوجته ثامار .. يريد أن يتحايل على أمر الله. ولكن الكاهن حزقيا حذره من غضب الرب الذي أراد أن يختبرهم بالصبر والطاعة ، ولم يستمعوا إلى النصيحة وحفروا مجرة .. يتسرب منها ماء البحر بما فيه من سمك إلى الحفرة فإذا بدأ يوم الأحد أسرعوا لجمع الأسماك ونجحت الحيلة وظنوا أنهم قد تحايلوا على الشرع وأصبحوا حديث المنطقة كلها .. وغيرهم وضع السدود والشباك .. ومع غروب شمس السبت .. فإذا جاء الأحد جمعوا الأسماك .. وهناك من ربط الأسماك بخيوط إلى خشب على ساحل البحر .. وظلت طائفة على طاعتها ترفض أن تشارك هؤلاء في احتيالهم على الله . وجاء السبت لكن هؤلاء العصاة لم يظهروا ومرت ثلاثة أيام وذهبوا للبحث عنهم في ديارهم وتسلقوا جداران منازلهم وأصابهم الزعر والهلع مما شاهدوا فالقوم الذين عصوا أمر الله .. أصبحوا قردة خاسئين كبرت آذانهم وظهرت لهم ذيول وطالت أظافرهم وبرزت أسنانهم وغطاهم الشعر وماتوا على هذا النحو وظلت آثارهم باقية فهي آية لأولى الألباب .

المؤمن حزقيل

هو واحد من المؤمنين بدين الله وعبادته وكان «حزقيل» من آل فرعون وقد تابع موسى حتى كبر وناصر أحد العبرانيين ضد المصري وقتله واجتمع مجلس فرعون يبحث العقوبة المناسبة ضد موسى وخرج حزقيل يحذر موسى : ﴿قَالَ

يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ . وبعد 15 عامًا من هروب موسى إلى مدين وما جرى معه فيها وزواجه ثم كلامه مع الله سبحانه وتعالى في طور سيناء بعدها عاد إلى مصر يدق باب حزقيل الذي كان ينتظره على أحر من الجمر . وهنا أخبره موسى بأنه نبي الله وعلم منه أن فرعون الحالي أشد قسوة وغرورًا من حدة رمسيس الذي مات وهو يدعي بأنه الإله الأعلى .. وبعد قصة موسى مع السحرة وانتصاره عليهم .. همس أحد الكهنة إلى فرعون (سيتي) بأن موسى يريد لشعبه أن يغير دينه فصاح في غيظ :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر:26] وارتفع صوت الوزير هامان يؤيد كلام فرعون ويطالب بقتل موسى .. وهنا صرخ حزقيل وصاح فيهم : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: 28] .

وتم القبض على حزقيل وإيداعه السجن تمهيدًا لقتله ولكنه طوال الوقت كان يفكر في أمر موسى ودعوته ولما ذهب الحراس لكي ينفذوا حكم الإعدام في حزقيل اكتشفوا أن بعض المؤمنين برب موسى قد ساعدوه على الفرار .. ولحق بموسى مع من عبروا البحر وظل معه .. فرحًا بآية ربه الكبرى الذي أغرق فرعون ومن معه وكتب لنبيه الكريم النجاة مع المؤمنين .

النمرود بن كنعان

هو ملك بابل الذي يحب الصيد والمغامرة وكان يعجب من شعبه الذي اتخذ من النجوم والكواكب آلهة يعبدونها من دونه وكان يرى أنه الأحق بالعبودية ، ورأى في منامه نجمًا كبيرًا يلمع في السماء فملأ نوره الكون كله وسأل الكهنة والسحرة عن تفسير حلمه فقالوا له نفاقًا.. هذا معناه أنك النجم الكبير . . لكن

أحدهم استجمع شجاعته وقال : مولاي النمرود بن كنعان هذا الحلم معناه أن هناك من ولد بالأمس في أرض بابل من سيظهر عليك ويدعو الناس إلى عبادة إله غيرك .. وأضاف آخر : وستكون نهايتك على يديه فابحث عنه واقتله .

ومنذ هذا الوقت عاش النمرود في قلق عظيم حتى جاء اليوم الذي اكتشف فيه الكهنة أن أصنامهم قد تهدمت في معبدهم الكبير .. وعرفوا أنه هذا الفتى الذي يقال «إبراهيم » عليه السلام .. وبعد قصة محاولة حرق أبو الأنبياء والنار التي كانت بردًا وسلامًا عليه بأمر ربها .. بنى النمرود هرمًا وأراد أن يرى إبراهيم فإذا بجيش من البعوض يحيط به وقد جاءت به ريح عاصف ودخلت بعوضه في أنف النمرود لم يستطع إخراجها وأصابته بالصداع المزمن فكان لا يستريح إلا إذا ضربوا رأسه بالمطارق وكان يأمر رجاله بضربه بالنعال حتى مات غير مأسوف عليه في قمة الذل لأنه طلب العز على حساب دين الله .

***

الملك ذو نواس

هو «يوسف ذو نواس بن شرحبيل » أحد سلالة ملوك «حمير» كان يحكم اليمن في أزهى عصوره ، وذلك في أوائل القرن السادس الميلادي وقد أسعده الزمان فيما وصل إليه من مكانه بين جيرانه من الدول الأخرى ، كان ما يزال متمسكًا بيهوديته الأولى ، وأصبحت الديانة الرسمية للدولة ، حتى في الفترات التي تعرضت فيها اليمن للغزو الخارجي كما حدث في عهد الفرس ، لكن هذه الديانة مضى عليها أكثر من خمسة عشر قرنًا فضاعت معالمها الحقيقية ، حتى في فلسطين مهد مجدها .. نسى الناس تعاليم رب موسى وسليمان ، وقدسوا الملوك والحكام وعطلوا شعائر دينهم من صوم وصلاة واعتقدوا أنها الحياة الدنيا ، فلا بعث ولا نشور ، ولا ثواب ولا عقاب ، فابتعدوا بذلك عن ربهم ، وبذلك لم تعد اليهودية حقيقة قائمة ، وأصبحت أحداث ملوكها وأنبيائها مجرد ذكريات شاحبة

طوتها الأيام ، تمر بخواطر الناس من حين آخر ..ومـن أجـل هـذا حلـت محلهـا الديانة المسيحية التي بشر بها سيدنا «عيسى عليه السلام »، وانتشرت هذه الـدعوة في فلسطين ، ثم انتقلت إلى كثيـر مـن الـدول الأخـرى ، حتـى وصـلت إلى الـيمن فاعتنقها كثير من أهلها سرًا حتى تزايد عددهم وأصبحت مدينة «نجران» من أهـم مراكز الدعوة المسيحية .

وإلى هذا الملك تنسب قصة أصحاب الأخدود وإن اختلفت الروايـات حولهـا .. ولكن المصدر الأساسي لها حديث النبي ﷺ الذي رواه سيدنا صـهيب رضـي الله عنه . وسبق لنا الحديث عنها.